رسالة عيد الميلاد المجيد

إشراق شمس البر علينا

إذ تقترب الكنيسة من عيد ميلاد رب المجد يسوع تحمل قيثارة الروح وتنطلق نحو المزود لتتغنى بالمزمور الخمسين (٤٩ حسب السبعينية). تناجي شمس البر الذي يشرق بكمال جماله وبهائه على صهيون، ليهبها يوما جديدا بعد ليلة طويلة الأمد.

حقًا كثيرا ما يتساءل المؤمن: ماذا كان موقفي لو إنني كنت في موضع أبواي الأولين آدم وحواء؟ وماذا كان مصيرهما في جنة عدن لو لم يسقطا في الخطية؟

ولادة الكلمة الإلهي المتجسد يردنا إلى جنة عدن الجديدة لكي نبدأ في خلقة جديدة، نبدأ يوما جديدا فيه ننعم باشراقات شمس البر وبهاءه. نتطلع إلى صهيون ونردد مع المرتل بأن الشمس قد أشرقت في كمال بهائها وجمالها.

لنسمع صوت الحبيب في المزود

إذ ندخل المزود مرنمين بالمزمور الخمسين، مسبحين شمس البر، نراه يرد هذا العمل بما هو أعجب، إذ نسمعه يناجينا بأننا حمامته الوحيدة المحبوبة لديه جدا، بهية كالصباح، جميلة كالقمر، وطاهرة كالشمس (نش ٦). يرانا عروسه الجميلة التي بلا عيب.

من أين لنا هذا المديح ونحن خطاة، أفسدنا جمالنا، وحل بنا الفساد، ننئن من ثقل خطايانا التي استعبدت قلبنا وفكرنا وأحاسيسنا وعواطفنا، وحطمت طاقتنا ومواهبنا؟ انه انعكاس بهاء شمس البرّ علينا، يسكب جماله على النفس فتصير جميلة جدا جدا، تصلح للملكة.

نسبحه على كمال جماله الإلهي، فيطوبنا لأننا صرنا أيقونته التي بلا عيب، خليقة جديدة عجيبة بلا لوم ولا غضن.

إله المستحيلات

إذ ننطلق إلى المزود نرى طفلاً عجيبا، هو إله المستحيلات. ماذا يقدم لنا؟

١. يفتح أمامنا الطريق الذي أغلقته الخطية، والذي صار في حراسة شاروب ممسك بسيف ناري. يتقدم إلينا قائلاً: "أنا هو الطريق"، ندخل فيه، نثبت فيه وهو فينا، فنجد أنفسنا في حضن الآب، يقدمنا له كأعضاء في جسده المقدس.

٢. وهو المعلم الإلهي والمدرب لنفوسنا لم يأت إلينا ليقدم مجرد وصايا جديدة أو أوامر لكنه جاء **ليقدم لنا روحه القدوس** الذي وحده يثبتنا في السيد المسيح لنشاركه سماته، فنتمتع دوما بالنمو في شركة سماته حتى نصير بالحق أيقونة عريسنا السماوي. إنه يهيئنا للعرس السماوي الأبدي الذي يفرح الآب ويسر جميع السمائيين الذين يشتهون رؤية عروس المسيح في كمال مجدها.

٣. حينما جاء مسيحنا، الكلمة الذي كان يسمع آدم وحواء صوته ماشيا في الجنة قبل تجسده، وقد حرما من اللقاء معه بإرادتهما، إذ عزلا نفسيهما عنه بالعصيان. الآن قد جاء لا كزيارة عابرة، بل ليؤكد لنا "هذا أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر". إنه **دوما حاضر في وسط كنيسته**، في أعماق كل مؤمن.

٤. جاء **إله المستحيلات** ليجعل المستحيل ممكنًا وسهلاً، حتى الحياة السماوية تصير بين أيدينا. "أستطيع كل شيء في المسيح يسوع الذي يقويني".

٥. بمجيئه إلينا قدم لنا حياة جديدة، وطبيعة جديدة تتجدد دوما بروحه القدوس، وأيضا **مفاهيم جديدة**:

- ✞ أعطانا **مفهوما جديدا للوصية الإلهية**. لا نعود فنرى الله يأمر وينهي، بل الله الكلي الحب يلتصق بنا ونلتصق به ويصير الحب طبيعتنا المبهجة. نجد مسرتنا في عشقنا لله، وفي حبنا لاخوتنا حتى الذين يضطهدوننا، وفي اهتمامنا بخلاص أنفسنا إذ نحب أعماقنا، كما في شركتنا مع السمائيين. نرى في الحب لغة بلدنا الجديد، أي السماء، جواز السفر الذي أمامه تنفتح كل أبواب السماء حتى نعبر إلى حيث عرش الله.
- ✞ أعطانا **نظرة جديدة للحياة الزمنية** كعطية إلهية. شاركنا طبيعتنا، وعملنا البشري، وحياتنا، فصار لحياتنا طعم خاص لم نذقه من قبل. كل لحظة من لحظات عمرنا لها تقديرها في عينيه كما في أعيننا.
- ✞ نقدم له هدايا جديدة مع المجوس، هدية التسليم بين يديه لنحمل بره فينا، وكما هو قدوس نصير بروحه مقدسين فيه. هذا ما يبهجه، هذه هي مسرة أبيه أن نكون قديسين في عينيه، فيبارك الكثيرين، ويتحقق فينا وعده لأبينا إبراهيم: "أجعلك بركة لأمم كثيرة".
- ✞ نقدم له فكرنا فيهبنا معرفة أسراره الإلهية تشبع أعماقنا وتروي ما بداخلنا. به نتعرف على الآب الذي لا يعرفه إلا هو ومن أراد أن يعلن له عنه.
- ✞ نقدم له قبولنا شركة آلامه وصلبه والدفن معه فنختبر قوة قيامته، وننعم بعربون المجد السماوي. يتحول طريق الألم إلى طريق المجد.

الآن فلندخل إلى المزود حاملين قيثارات حبنا لكي يضرب عليها روحه القدوس سيمفونية علوية مفرحة. نتغنى قائلين:

✞ خرجت أحمل شمعة وسراجا أبحث عنك،
وأنت شمس البر المشرق على المسكونة كلها.
ظننتك مخفيا عني وأنت ببهائك نزلت إلي.

✞ اختبأ آدم الأول وراء ظلال الشجر خوفًا منك.
وأنت أخفيت بهاءك في جسد بشري،
لكي تسكب علي فأحمل شركة مجدك.

✞ جمالك العجيب سكب جمالاً على أعماقي.
صيرتني أبهي من الصباح،
وأجمل من القمر،
وأسطع من الشمس.

أقمت نفسي عروسا تتمتع بشركة طبيعتك الفائقة الجمال.

✞ أتيت إلى يا إله المستحيلات.

قدمت ذاتك لي طريقًا يحملني إليك.

وهبتني إمكانياتك فلا تقف قوة ضدي.

✞ مرحبا بك في أرضنا،

ومرحبا بروحك القدوس الذي يحول الأرض سماء،

والقلب هيكلاً مقدسا له،

والإنسان الترابي عروسا يشتهي السمائيون جمالها،

✞ مرحبا بقدومك على الأرض التي خلقتها أنت.

كنت على الأرض بالجسد ولم تفارق الآب في السماء.

صعدت إلى السماء وجلست عن يمين الآب،

ولم تفارقني على الأرض.

وأنت بكاملك هنا وبكاملك هناك.

وأنت بكاملك هناك، بكاملك في داخلي،

يا لعجب حبك وإمكانياتك يا كلي الحب والقدرة،

✞ مجيئك إلى غير كل مفاهيمي:

أراك الحب كله، فلا تأمر ولا تنهي بل تحب وتعطي،

أراك صرت ابن الإنسان، فأعتز ببشريتي التي شاركتني إياها.

أراك وأنت السرمدي تخضع للزمن،

فصارت كل لحظة من الزمن لها قدسيتها وتقديرها.

اسمح لي أن أحمل قيثارة الروح.

اسمح لي أن أقدم أغنية الحب السماوي.

اقبل إرادتي لتذوب في إرادتك الإلهية.

اقبل فكري لتهبه معرفة أسرارك العلوية.

اقبل حياتي ذبيحة حب مقبولة لدى الآب.

قدسني أيها القدوس، فاشتهي أن أرى الكل مقدسين في حقك.

✞ لأدخل إلى مزودك وأحملك في قلبي.

أنت نور قلبي وعيني،

أنت الخبز السماوي يهبني الحياة.

أنت الينبوع الحي بك ترتوي نفسي وتفيض أنهار مياه حية.

أنت عريس نفسي وشهوة قلبي.

أنت الكل لي يا مصدر كل الحب.

✝✝✝